

الكيونة واللاهوت (الميتافيزيقية) عند هيدجر النقدية

Being and theology (metaphysical) according to Heidegger's criticism

ثامر ياسر جبرموسى ال علي العلياوي¹تربية النجف، العراق: thamrallyawy68@gmail.com

ماهر عباس

جامعة بابل، العراق: muh992mm@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/06/09

تاريخ الاستلام: 2024/12/29

ملخص:

يمثل العمق الفلسفي لمارتن هيدجر نقطة جذب للباحثين، مما دفعني لدراسة رؤيته الميتافيزيقية ونقده للميتافيزيقا الغربية. وقد ساعدتني ترجمة كتبه ومحاضراته ورسائله الأساسية، مثل "الوجود والزمان"، و"نداء الحقيقة"، ومحاضرة "ما الميتافيزيقا"، ورسالة "في النزعة الإنسانية"، بالإضافة إلى كتابات أبرز الباحثين في هذا المجال، فضلاً عن الفيلسوفين جاك دريدا وهادمر، في تكوين فهم شامل لفلسفته الميتافيزيقية النقدية. المشكلة التي نطرحها هنا هي أن مارتين هيدجر، من خلال نقده للميتافيزيقا الغربية، لم يخرج عن الإطار الميتافيزيقي. فهو، على عكس الاتجاهات التي سعت إلى تجاوز أو إلغاء الميتافيزيقا مثل التفكيكية، حاول تجاوز موضوع السؤال الميتافيزيقي لجعل تركيزه على الوجود بدلاً من الموجود كما فعلت الميتافيزيقا الغربية. إن دراسة وفهم الوجود الكلي، أو ما يسميه هيدجر "الكيونة"، يعتبر أمراً مستحيلاً، والسبب في ذلك، كما سيتضح لاحقاً، هو أننا محدودون في وجودنا. كما أننا لا نستطيع فهم الوجود إلا من خلال أمثلة تقرب لنا الفكرة، وبالتالي، لا يوجد سبيل.

الكلمات الدالة: الميتافيزيقا - الميتافيزيقا في القرن العشرين - نقد للميتافيزيقا - علاقة الموجود الإنساني بالوجود الكلي

Abstract:

Martin Heidegger's philosophical depth is a magnet for researchers, which led me to study his metaphysical vision and critique of Western metaphysics. The translation of his books, lectures and key letters, such as "Being and Time", "The Call of Truth", "What is Metaphysics", and "On Humanism", as well as the writings of the most prominent researchers in the field, as well as the philosophers Jacques Derrida and Hadmer, helped me to develop a comprehensive understanding of his critical metaphysical philosophy.

The problem we pose here is that Martin Heidegger, through his critique of Western metaphysics, did not depart from the metaphysical framework. Unlike tendencies that sought to transcend or abolish metaphysics such as deconstruction, he tried to go beyond

the subject of the metaphysical question to focus on being rather than on existence as Western metaphysics did.

The study and understanding of universal existence, or what Heidegger calls "being," is impossible, because, as will become clear later, is that we are limited in our existence. We can only understand existence through examples that bring us closer to the idea, and therefore, there is no way.

Key word: Metaphysics - Metaphysics in the twentieth century - a critique of metaphysics - the relationship of human existence to total existence.

المؤلف المرسل: ثامر ياسر جبرموسى ال علي العلياي، الإيميل: thamrallyawy68@gmail.com

مقدّمة:

ترجع اهميّة مارتن هيدجر (1898-1976) الى أنّه أول من تنبّه الى مشكلة الميتافيزيقا الأساسيّة التي لازمتها طوال خطها الممتد من افلاطون وحتى نيتشه. وهي مشكلة نسيان الوجود، والاقتصار على دراسة الوجود بما هو موجود. اضافةً الى اهتمامه بمسألة العدم بوصفه شيئاً يمكن تلمّسه وليس هو لا شيء تماماً. كذلك فهو مؤسس التيار الوجودي ورائده الأول في القرن العشرين، ورغم صعوبة معالجاته الفلسفيّة، واعطاءه لمفاهيمه معاني خاصّة به؛ الا أنّه ذو تأثير على فلسفة القرن العشرين بشكلٍ وباخر، حتى الذين تعرّضوا لفلسفته بالنقد يعترفون بالفضل له في مجالات فلسفه الوجوديّة منها والتأويليّة وغيرهما من مفاصل فلسفته الأخرى.

وهو بعمقه الفلسفي الذي تميّز يُشكّل نقطة اغراءٍ للباحثين، لذا ارتأيت دراسة رؤيته الميتافيزيقية ونقده للميتافيزيقا الغربيّة. وبفضل ترجمة كتبه ومحاضراته ورسائله الرئيسيّة وهي كتابه الوجود والزمان، وكتابه نداء الحقيقة، ومحاضرة ما الميتافيزيقا، ورسالة في النزعة الانسانيّة. وبفضل كتابات أهمّ الباحثين في هذا المجال عن فلسفته، فضلاً عن الفيلسوف جاك دريدا، وجادامير؛ استطعت أن أُلَمّ بقدرٍ مجملٍ عن فلسفته الميتافيزيقية النقديّة.

وطبيعة المشكلة التي نطرحها هنا هي أنّ مارتن هيدجر بنقده للميتافيزيقا الغربيّة لم يخرج من الاطار الميتافيزيقي، فهو على عكس الاتجاهات التي سعت الى تجاوز أو الغاء الميتافيزيقا كالتفكيكيّة. فهيدجر وان سعى الى تجاوز موضوع السؤال الميتافيزيقي، ليجعل السؤال الميتافيزيقي منصباً على الوجود، لا الموجود بما هو موجود كما فعلت الميتافيزيقا الغربيّة.

ودراسة وفهم الوجود الكلي أي ((الكيونة)) -بحسب هيدجر- أمرٌ مستحيلٌ، والسببُ كما سيتضح لاحقاً؛ أننا محدودون في وجودنا، كذلك فأننا لا يُمكننا فهم الوجود الا بأمثلةٍ تقرب لنا الفكرة، وحينئذٍ فلا سبيلَ لنا الا ان ندرس الوجودَ بتمثله في الكائن الواعي ((الدازين)).

لكن ما موقع مفاهيم الميتافيزيقا الرئيسيّة ((الله، الوجود، الروح)) في فلسفة هيدجر؟ رغم أنّ بعض الباحثين صَنَّفوا هيدجر في الجناح الملحد من الوجوديّة؛ فأننا سندحض هذا الزعم، ونوردُ شواهداً تُثبتُ أنّ فلسفته ليست الحاديّة. وبالنسبة الى الروح، فإنّ هيدجر يرى عدمَ كفاية التفسير الميتافيزيقي للانسان، ويُقدّم رأيه لفهم الانسان على نحوٍ أكمل مستعملاً المنهج الظاهراتي، لينتهي الى أنّ الانسان هو الموجود الان قرب الموجودات، وهو ما عبّر عنه بال((دازين)).

وبالنسبة الوجود العام؛ فيدرسه هيدجر من خلال الوجود الإنساني وعلاقته به، فالوجود

الإنساني هو تجلٍ للوجود يتمثّل بالقلق.

وقد ارتأينا أن نقسّم البحث الى ثلاثة مباحث كل مبحثٍ يحوي مطلبين:

المبحث الأول بعنوان: ((الميتافيزيقا في القرن العشرين)) المطلب الأول حمل عنوان ((معنى الميتافيزيقا في اللغة والاصطلاح))، أمّا المطلب الثاني هو ((سمة نقد الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة)) بيّنا فيه الطابع النقدي للميتافيزيقا في القرن العشرين وسبب ذلك، مستعرضين أهمّ الفلسفات التي حملت ذلك الطابع.

أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان: ((نقد للميتافيزيقا أم ميتافيزيقا نقدية)) المطلب الأول عنوانه: ((موقف هيدجر النقدي من الميتافيزيقا)) بيّنا فيه اشكالية الميتافيزيقا العامة منذ افلاطون وحتى نيتشه، وهي جعلُ موضوع الميتافيزيقا هو الموجود لا الوجود. والمطلب الثاني: ((الميتافيزيقا وفق التصوّر الهيدجري)) جاء مكملاً لبداية مشروع هيدجر النقدي، بيّنا فيه الفهم الهيدجري للميتافيزيقا.

وأخيراً المبحث الثالث جاء المبحث الثالث بعنوان: ((الله والروح والعالم وفق التصوّر الهيدجري)) وضمّ مطلبين: الأول هو ((المطلب الأول: الله والألوهية في ميتافيزيقا هيدجر)) بيّنا فيه خطأ دعوى وسم فلسفة هيدجر بالإلحادية، كذلك عرضنا فيه رأي هيدجر بالألوهية والاله. أمّا المطلب الثاني

فهو: ((علاقة الوجود الإنساني بالوجود الكلي)) عرضنا فيه رؤية هيدجر الميتافيزيقية الى موضوع الوجود الإنساني وارتباطه بالوجود الكلي.

أرجو أن أكون قد وفقت في عرض ما رُمتُ ببيانه في هذا البحث، والقصورُ أعتذرُ منه، فإنني مبتدأ في هذا المجال.

المبحث الأول: الميتافيزيقا في القرن العشرين

المطلب الأول: معنى الميتافيزيقا في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: سمة نقد الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة

المطلب الأول: معنى الميتافيزيقا في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعنى اللغوي

الميتافيزيقا مصطلح يتكون من مقطعين يونانيين: الأول (meta) ويعني ما بعد. والثاني (physics) ويعني الطبيعة. فمعنى المصطلح من زاوية لغوية ((ما بعد الطبيعة)). والطبيعة تسمية تُطلق على كل الموضوعات التي يتناولها الحس. فما وراءها أو ما بعدها هو كل ما لا يناله ادراك حسي، كالقوى الغيبية¹.

ظهر هذا المصطلح أول مرة في الفترة الهلنستية، مع أندرونيقوس الروديسي حوالي عام (60 ق.م)، وهو الرئيس الحادي عشر للمدرسة المشائية، حينما أراد ترتيب مصنفات أرسطو في روما ونشرها اضافة الى شرحها؛ وأثناء الترتيب وجد أن لأرسطو مؤلفات دون ان يُطلق عليها اسماً محدداً، جاءت في الترتيب بعد الأبحاث الطبيعية، فاحتار في تسميتها، وأخيراً اطلق الروديسي عليها اسماً مؤقتاً هو (metaphysics)، أي أبحاث ما بعد الأبحاث في الطبيعة. ولم تكن ذات دلالة على مضمون تلك البحوث، وإنما فقط تشير الى كتابات أرسطو التي كتبها بعد كتابة الأبحاث الطبيعية. فالتسمية جاءت عرضية، لكن بعد تطور المصطلح صار له دلالة على موضوعات هذا العلم التي تجاوزت الظواهر المحسوسة، فلم تعد بعد ذلك اسماً لمجموعة أبحاث عنونت بهذا الاسم، وإنما صارت اسماً لعلم يبحث في الوجود وملحقاته من مقولات، ولا سيما الوجود الإلهي والروح².

⁽¹⁾ ينظر: امام، عبد الفتاح، مدخل الى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة-مصر، ط1، 2005، ص18.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

بعد أن أصبح للميتافيزيقا دلالةً على موضوعاتٍ علميّةٍ؛ أصبح للفلاسفة دورٌ في تحديد المصطلح سعةً وضيقاً. ففي العصور الوسطى انبرى فلاسفةُ الاسلام لدراسة موضوعات الميتافيزيقا واعطاءها دلالةً محدّدة. فنجد ((الكندي)) يعتبر الميتافيزيقا هي الفلسفة الأولى، وعلم الربوبية. أمّا الفارابي فيُعرّفها بأنّها ((العلم بالموجود بما هو موجود)). أمّا ابن سينا فيقولُ عنها ((أنّ هذا العلم يبحث عن الموجود المطلق، وينتهي في التفصيل الى حيثُ تبتدئُ منه سائرُ العلوم، فيكون في هذا العلم بيانُ مبادئ سائر العلوم الجزئية))³.

وابنُ رشد يسمّي هذا العلم بـ ((علم ما بعد الطبيعة))، والغرضُ منه هو ((النظر في الوجود بما هو موجود))، ويُقسّمه الى ثلاثة اقسام⁴:

1. النظر الى المحسوسات من حيث وجودها، ومن خلال جميع أجناسها التي هي المقولات العشر، إضافة الى جميع اللواحق التي تلحقها.
2. ما يُنظر فيه في مبادئ الجوهر، أي الأمور المفارقة، كذلك نسبتها الى المبدأ الأول الله تعالى.
3. ما يُنظر فيه في موضوعات العلوم ومبادئها.

ولا يقتصرُ اختلافُ موضوع هذا العلم على الفلاسفة من واحدٍ لآخر؛ وأنما مدلوله يختلفُ باختلاف العصور، فأرسطو واتباعه من المدرسين، اعتبروا موضوعه البحث في الأمور الالهية، والمبادئ الكلية، والعلل الأولى. أمّا عند المحدثين فموضوعه مقتصرٌ على البحث في مشكلتي الوجود والمعرفة. فبالنسبة الى المشكلة الأولى؛ فإنّ اختلافَ الرؤى الميتافيزيقية للفلاسفة المحدثين لم يجعلهم يخرجون من غاية الميتافيزيقا وهي البحث عن المطلق، أي ما هو فوق كلّ الظواهر ومبداها. أما المشكلة الثانية التي تتعلّق بالمعرفة؛ فإنّ البحثَ عنّا وراء المعارف النسبية من حقائق أولية جامعة لها هو ميتافيزيقا المعرفة. والاختلافات كثيرةٌ في هذه المشكلة لكن على العموم الغرض من

⁽³⁾ ينظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، بلا طبعة، 1982، ص300.

⁽⁴⁾ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هذا البحث في هذه المشكلة هو الرجوع الى المبادئ الأولى لمعارفنا سواءً أكانت عقليةً ذاتيةً كما يراها ((كانت)) أم موضوعيةً خارجيةً كما عند برجسون⁵.

المطلب الثاني: سمة نقد الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة

من بين ميزات الفلسفة المعاصرة العديدة كالارتباط بالكشوفات العلمية والتأثر بها، وميزة التحليل؛ تبرز سمة النقد للميتافيزيقا في أبرز اتجاهاتها كالوضعية المنطقية والفلسفة التحليلية والبرجماتية، وبعض فلاسفة المدارس الفلسفية الأخرى كالوجودية والظاهرية. والأمر راجع لعدة أسباب أبرزها التقدم العلمي الوضعي الهائل. والذي مثلت الوضعية المنطقية التيار الفلسفي الأبرز له، فقد نادت هذه المدرسة بأن الميتافيزيقا هي مجرد كلام خالٍ من المعنى، فلا من الجهة المنطقية يمكن البرهنة على صدقها، ولا من ناحية تجريبية يمكن إخضاعها للتجربة والتحقق⁶.

فهي ليست قضيةً كاذبة، بل لا يمكن أن تكون محلاً لاحتمال الصدق والكذب. وسبب آخر يدعو الى رفض الميتافيزيقا وهو أن قضاياها تشتمل على حدودٍ لا معنى لها الا في مجالها، ومن هنا فهي ليست صادقة ولا كاذبة بل هي عبارات فارغة من المعنى⁷.

أما البرجماتيون؛ فهم رفضوا الميتافيزيقا بحكم منهجهم الذي اتبعوه والتزموا به حرفياً، وهو أن كل فكرة لا تكون ذات معنى بدون تحقق أثر عملي لها. وكما يقول جون ديوي معرّفاً للفلسفة البرجماتية بأنها "النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة"⁸. وفي الحقيقة "كانت هذه الحركة في الأصل ردّ فعلٍ موجّهاً ضدّ النزعة الهيكلية الإنكليزية ممثلةً في برادلي ومتجرت وبوزنكيت"⁹.

⁽⁵⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص302.

⁽⁶⁾ ينظر: الأطرش، عيبر، الميتافيزيقا، ضمن، الموسوعة العربية، المجلد العشرون، ص176، الرابط، <http://www.arab-ency.com/ar>

⁽⁷⁾ ينظر: محمود، زكي نجيب، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط3، 1993، ص6.

⁽⁸⁾ ديوي، جون، قاموس القرن، نقلاً عن، مهران، محمد ومدين، محمد، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 2004، ص43.

⁽⁹⁾ بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1980، ص15.

والتحليليون بدءاً من جورج مور وبرتراند رسل وفتجشتين؛ الذين طبقوا التحليل في مجال اللغة التي تحوي المعرفة، فالفلسفةً وظيفتها فقط تحليل اللغة، ولا امكانيةً للفلسفة في اضافة معارف لنا عن العالم الخارجي، فهذه الأخيرة وظيفه العلوم، والفلسفة بتحليلها للغة تكون خير أداة لحل المشكلات التي تنتج من جراء الخلط العقلي وسوء الفهم، وليس بسبب جهلنا بالواقع¹⁰.

أما الفلسفة الوجودية، فهي وان انقسم ممثلوها الى جناح حرٍ من كل عقيدة مورثة، وآخر مقيداً بعقيدة أو عقائد عديدة؛ الا أنّ الجامع المشترك بينهم أنّ الوجود الإنساني هو الذي ينبغي دراسته وفهمه. فالوجود بحسب شعارهم العام يسبق الماهية، بمعنى أنّ الانسان وجوده عبارة عن أفعاله التي تخلق ماهيته وتحددها، فهو باختياره لفعل معين ورفضه للأفعال الممكنة الأخرى يكون قد حدد ماهيته وشكلها، وهكذا يستمر في خلق ماهيته حتى انتهاء وجوده بالموت¹¹.

وأبرز رائدين للجناح الأول الحر هما هيدجر وسارتر. فبالنسبة الى سارتر فرفضه للميتافيزيقا منحصر بميتافيزيقا الوجود بالمعنى العام، ومن ضمنه مفاهيم الاله، الماهية المحددة مسبقاً، والروح. ولم يرفض الميتافيزيقا بصورة عامة، ففلسفته في جوهرها ميتافيزيقية، اذ قد قدم في فلسفته دراسة يبين فيها نظريته للوجود المشخص الإنساني، وما يرتبط به من وجود الذوات الأخرى، والوجود العام من جهة اختلافه عن الوجود الإنساني. فالوجود الإنساني هو الوجود الحقيقي الذي يمكن ان يكون له معنى عن طريق الفعل الخلقى للماهية، فالانسان بلا تحديد مسبق، لا من قوى غيبية ولا من قيم وتقاليد، واليه يعود وضع جملة "الوجود يسبق الماهية"، التي وان وجدت في مشاريع الوجوديين الآخرين الا أنه مبتكرها. والوجود بالنسبة اليه أي الوجود كمفهوم انطولوجي عام؛ عبث وبلا معنى

12

¹⁰ ينظر: مهرا، محمد ومدين، محمد، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 2004، ص 141-142.

¹¹ ينظر: بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 18.

¹² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالعدمية هي مصيرُ الانسان، والانسان كما يرى سارتر ونيتشه والبير كامي يتّجه الى العدم متجاوزاً ذاته، فلا يوجدُ الهُ ومن هنا فالانسانُ متروكٌ وحده لِيُخلق ذاته وقيمه ومعاييرَه الخاصّة به¹³.

في الحقيقة أنّ كلّ ما فعله سارتر هو نقلُ البحثِ الميتافيزيقي للوجود بصورةٍ كليةٍ الى الوجود المشخّص او كما يسميه الوجود لذاته.

بقي ت محاولُهُ فيلسوفنا مارتن هيدجر، الذي هو المؤسّس الحقيقي للوجوديّة في القرن العشرين¹⁴، فهو قد شخّص خطأ الميتافيزيقا الغربيّة الملازم لها على طول خطّها الممتد من افلاطون وحتى فردريك نيشته-سيتضح لاحقاً في محلّه-فانطلق في ميتافيزيقاه الى دراسة الوجود الذي لا يمكنُ دراسته الا من خلال تجلّيه في الانسان، لكن هل نجح في تجاوز الميتافيزيقا؟، هذا ما سيّضح لاحقاً في المبحث الأخير.

المبحث الثاني: نقد للميتافيزيقا أم ميتافيزيقا نقدية

المطلب الأول: موقف هيدجر النقدي من الميتافيزيقا

المطلب الثاني: الميتافيزيقا وفق التصوّر الهيدجري

المطلب الأول: موقف هيدجر النقدي من الميتافيزيقا

انّ ميزة مارتن هيدجر في موقفه من الفلسفة الميتافيزيقية؛ أنّه أوّل من لاحظ أنّ كلّ الميتافيزيقا الغربية منذ افلاطون وحتى نيتشه، قد وقعت في خطأ فادح وهو أنّها لم تفرّق انطولوجياً بين الوجود والموجود. فهي لم تسع للإجابة عن سؤال ((ما الوجود؟))، وانما انشغلت في سؤال ((ما الموجود؟)). فكان همّها تعقّل الموجود، في حين أنّ الوجود هو من يُظهرُ الموجود ويُعطي التعقّل¹⁵.

يقول هيدجر: "صحيح أن الميتافيزيقا تتمثل الموجود في وجوده، وبذلك فهي تفكر في وجود

الموجود. ولكنها لا تفكر في الاختلاف بين الوجود والموجود"¹⁶.

⁽¹³⁾ ينظر: امام، عبد الفتّاح، مدخل الى دراسة الميتافيزيقا، ص 201.

⁽¹⁴⁾ المرجع السابق، ص 17.

⁽¹⁵⁾ ينظر: الطرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط3، 1996، ص 694-695.

⁽¹⁶⁾ هيدجر، رسالة في النزعة الانسانية، ترجمة، جلال، مينة، ضمن مجلة مدارات فلسفية، المغرب، العدد السادس.

والسرُّ في هذه الالتفاتة هو تطبيقه ((المنهج الظاهراتي)) لأستاذه آدموند هوسرل (1859-1938م)، من أجل الاجابة عن سؤال ((ما الوجود؟))، فالوجود كما يظهر في الوعي، شيءٌ يختلف عن الموجود أيّاً كان ذلك الموجود، فالوجود ليس سببٌ وجوده هو اعطاءه للموجود وجوده؛ فما يتيح لشيء ما ظهوره لا يظهر أبداً بما هو متيحٌ للظهور، فكما أنّ الحضورَ يختلفُ عن الشيء الحاضر، اذ انه لكي يكون الحاضرُ حاضراً، فلا بدّ ان يكونَ الحضورُ الذي يجعله كذلك غائباً؛ فكذلك الحال بالنسبة الى الوجود والموجود (أي أنّ الوجودَ غائبٌ والحاضرُ فقط هو الموجود). وبهذا المعنى فاننا لكي نفهم الوجود علينا ان نفهم الغياب، ولكي نخبر الوجود لا بدّ ان نخضع لامتحان اللاشيء¹⁷.

"يحدد هيدغر إذن الميتافيزيقا كنسيان للوجود، ويبرز هذا النسيان من خلال الوقوف عند لحظة أفلاطون. فمعها يبدأ تأويل الوجود على ضوء التفكير. ومع تأويل الوجود على ضوء التفكير يتبدئ نسيان الوجود، أي نسيان أن الاختفاء سمة أساسية للوجود"¹⁸.

وبسبب كون الميتافيزيقا بحثاً في الموجود بما هو موجود؛ نجد الميتافيزيقا ولا سيما مع أرسطو، ذات طابعٍ انطولوجي ولاهوتي في نفس الوقت. فأرسطو ظلّ نفسه يبحث في الوجود، في حين أنّه بحث في الوجود بما هو موجود. فكان الاله هو الموجود الأعلى. وظلّ هذا الطابع ملازماً لكل ميتافيزيقا لاحقة تبحث عن الوجود وتعني به الموجود فحسب¹⁹.

ولو تساءلنا: الى ماذا يرمي هيدجر بنقده للميتافيزيقا؟، فإنّ الاجابة هي أنّه يريدُ احداثَ تحوّل في التفكير الفلسفي، وهذا التحوّل عسيرٌ جداً لأنه يصعب التعبيرُ عنه بلغة الميتافيزيقا، ومن هنا فان هيدجر يعود بنا الى بداية الفكر الغربي قبل أن تنشأ الميتافيزيقا على يدي افلاطون وأرسطو. انه يحاول بعث الاندهاش الذي اعترى فلاسفة الاغريق القدامى حول الوجود، هذا الاندهاش الى دفع

⁽¹⁷⁾ ينظر: المرجع السابق، ص 695.

⁽¹⁸⁾ التاور، عمر، الميتافيزيقا بين هيدجر ودريدا، موقع الحداثة وما بعد الحداثة،

http://post2modernisme.blogspot.com/2016/01/blog-post_82.html

⁽¹⁹⁾ ينظر: مكاوي، عبد الغفار، ضمن، هيدجر، مارتين، نداء الحقيقة، دار الثقافة، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 1977، ص 14.

أولئك الفلاسفة الأوائل للسؤال عن معنى الوجود الذي يُنير الموجودات، وبدونه لم تكن لتظهر. أنّه يحاول ((قهر الميتافيزيقا)) وتجاوزها الى السؤال عن معنى الوجود بما هو وجود، لا بما هو موجود²⁰. لكن هل هذا التجاوز للميتافيزيقا التقليدية وقهرها يعني الغاء الميتافيزيقا والانسلاخ عن تاريخيتها وتطورها؟، لعلّ هذا هو أعظم تهمةٍ لاقتها فلسفته، وفي الحقيقة هو لم يُلغِ الميتافيزيقا التقليدية ولم ينكرها، كما أنّه لم يقطع الحوارَ معها وان حاول تجاوزها وقهرها. وخيرُ شاهدٍ على هذا تفسيراته العديدة لأعلام التراث من أنكسمندر وهيرقليطس وبارمنيدس وحتى شيلنج ونيتشه، الذي اعتبره نهاية الميتافيزيقا²¹.

اذن نقد هيدجر للميتافيزيقا التقليديّة هو جوهر مشروعه الفلسفي.

بقي سؤالٌ لا مجالَ لتجاهله، هل اقتصر هيدجر في نقده للميتافيزيقا على مجرد تجاوزها للسؤال عن الوجود؟ في الحقيقة ان هيدجر لم يكتفِ بهذا، وأنّما حاولَ في كتاباته كشفَ زيفَ الميتافيزيقا وعجزها عن طريق طرح أسئلةٍ تبيّنُ لنا عدم قدرتها على تقديم اجاباتٍ عنها. وخيرُ ما يدلُّ على هذا الأمر أنّه قدّم منجزين يحملان صيغةً تساؤلٍ هما: محاضراته عام (1929) التي حملت عنوان "ما الميتافيزيقا"، كذلك كتابه القيم "السؤال عن الشيء".

وفي هذا المعنى يقول دريدا متحدثاً عن هيدجر "أنّه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا وعلمنا ان نسلك معها سلوكاً استراتيجياً يقوم على التوضع داخل الظاهرة، وتوجيه ضرباتٍ متواليةٍ لها من الداخل، أي أن نقطع شوطاً مع الميتافيزيقا، وان نطرح عليها أسئلةً تُظهرُ أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة، وتُفصحُ عن تناقضها الجواني"²².

وعليه يجب إعادة صياغة سؤال الميتافيزيقا، ليكون سؤالاً عن معنى الوجود نفسه لا بما هو موجود، ومن هنا يبدأ مشروع هيدجر أو ميتافيزيقاه التي سنتناولها في المطلب التالي.

المطلب الثاني: الميتافيزيقا وفق تصوّر هيدجر

⁽²⁰⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

⁽²¹⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

⁽²²⁾ دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة، جهاد، كاظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2000، ص 47.

بما أنّ هيدجر يتجاوز الميتافيزيقا كما عرفها الفلاسفة لحدّ نيتشه منتقلاً الى البحث عن معنى الوجود بما هو كذلك؛ فينبغي أن يُطلّعنا هيدجر على معنى الميتافيزيقا كما يتصوّره هو، وهذا ما حصل بالفعل. ففي عام (1929م) ألقى هيدجر محاضرةً حملت عنوان ((ما الميتافيزيقا))، وبدل أن يكون كلامه خطاباً عن الميتافيزيقا؛ يُقدّم هيدجر مناقشةً لمسألة ميتافيزيقية معيّنة. يقول في افتتاحية محاضراته هذه "أنّ ما نتوقّعه من هذا السؤال هو أن يكون مناسبةً لتقديم خطابٍ عن الميتافيزيقا. لكننا سنتخلّى عن ذلك. وبدله سنناقشُ مسألةً ميتافيزيقيةً محدّدة. وبسلوكنا لهذا السبيل ننتقلُ مباشرةً الى الميتافيزيقا"²³.

وهذه المحاضرة تتكوّن من ثلاثة خطواتٍ تكاملية هي الاعداد للتساؤل الميتافيزيقي، تهيئة السؤال، محاولة تقديم اجابة عنه²⁴.

يبين هيدجر أنّ الاشكالية الفلسفية بلغت من التعقيد حدّاً أصبح فيه حتّى طرحُ التساؤل عن الميتافيزيقا ميتافيزيقياً، فضلاً عن أنّ السائل نفسه منطلقاً من ((الدازين)) أي الوجود الإنساني المحكوم من قبل متطلّبات المعرفة. والعلم فيه مشكلة متجدّرة هي أنّ من يقوم بالتحليل والبحث هو نفسه الكائن الإنساني، كذلك فإنّ العلم يتعامل فقط مع ما هو موجود، أمّا العدم أو (اللاشيء) فمستبعدٌ باعتباره سلباً محضاً، لكن أليس استبعادُ العدم يعني أنّنا نفترضه ونتقبّل وجوده؟، وهل يمكن الحديث عن تقبّل للشيء؟. وبالنتيجة العلم يعرف شيئاً عن العدم فقط وهو أنّه لا يدعي معرفة شيء عنه، لكنّ العلم اذا أراد أن يُعبّر عن ماهيته كعلم نراه يُحدّد مجال بحثه بما هو موجود بخلاف ما هو غير موجود، وفي هذا الايضاح يستنجد العلم بالعدم بعد أن استبعده في بداية الأمر، وهذه هي المفارقة التي لا يقدر العلم على الخروج منها²⁵.

الى حدّ الان تبين أن لا مفرّ من العدم والسؤال عنه ابدأ. وهنا نتساءل ((ما العدم؟)).

⁽²³⁾ هيدجر، مارتين، ما الميتافيزيقا، ترجمة، سبيلا، محمد، مجلّة مدارات. عدد 13، ص1، نقلاً عن موقع ابن خلدون، الرابط،

<http://ebn-khaldoun.com>

⁽²⁴⁾ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁽²⁵⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص5-6.

وهنا تبدأ المرحلة الثانية من مراحل المحاضرة (مرحلة الاعداد للسؤال)، يبين هيدجر أنّ السؤال ((ما العدم)) يشتمل على تناقض هو ان السؤال عن العدم يفترض اننا وضعنا العدم وكأنه شيء موجود، وبهذا ينقلب العدم الى نقيضه، وبالتالي يتخلّص السؤال من موضوعه الخاص. والاجابة ايضاً مستحيلة؛ لأنها تقدّم فحواها بقوة الأشياء الموجودة، فنقول العدم هو هذا أو ذاك. وفي الحقيقة أنّه ليس سبب عدم امكان السؤال عن العدم راجع الى أنّ العلم لا يرد ذلك، وأنّما إنّ منطق الفكر – باعتباره فكراً موجّهاً الى شيء دائماً وأبداً- لا يمكن أن يموّن موجّهاً ضدّ ماهيته الخاصة المُعدّة للتفكير في الموجودات فحسب²⁶.

وينتهي هيدجر الى القول أنّ العدم سابق على المنطق، والدليل أننا بنفينا للعدم بوصفه ((لا شيء)) نكون قد قرّرنا وجوده سلفاً، لأنّ النفي فعلٌ ذهني، ولولا العدم لما كان للنفي وجود، وبالتالي فإنّنا-يقول هيدجر-نؤكّد سبق العدم سبقاً أصلياً على النفي²⁷.

اذن العدم معطى قبل السؤال عنه، والانسان غير قادر على البحث عن شيء لم يتوقّع مثوله فعلياً عنده، اذن العدم معروف بنحو عام عندنا، لكن أين تمكّننا من الالتقاء به؟، يجب هيدجر بأنّ العدم يحوم حولنا على الدوام لكن بشكل غير محدّد، ويمكن ان نعطيه وصفاً يشبه التعريف وهو ((النفي الجذري لكلية الوجود))²⁸.

لكنّ هذا المعنى يفترض معرفتنا بالكائن (أي الوجود أو الكينونة) في كليته، في حين نحن كائنات متناهية. فضلاً عن أنّنا نستطيع التفكير في الكائن في مجموعه من خلال الفكرة أو المثال، ونستطيع ان ننفي ما نتخيّله ثمّ نعود الى التفكير فيه باعتباره شيئاً منفيّاً. والخلاصة اننا نصل لفهم صوري للعدم المتخيّل، لا الى العدم بذاته. لكن لا فرق بين العدمين الحقيقي والمتخيّل؛ باعتبار ان العدم لا شيء. مع فرض صحّة عدم التمايز المطلق في العدم بين الحقيقي والمتخيّل. ومع ذلك فإنّ العدم الحقيقي يُرجعنا الى النقطة التي سبقت الاشارة اليها؛ حيث اتّضح أنّ السؤال عن العدم يوقّعنا في التناقض، باعتبار أنّ السؤال عن العدم هو سؤال عن عدم موجود²⁹.

⁽²⁶⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 7-8.

⁽²⁷⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 8.

⁽²⁸⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 9.

⁽²⁹⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 10.

ومن هذا كله يتّضح لنا أن لا سبيلَ لمعرفةٍ مشروعةٍ عن العدمِ الا بتجربةٍ عنه، وباعتبارِ أنّنا لا يمكننا أن ندركَ الكائنَ في ذاته، فعلى الأقل نحنُ واقعون في وسطِ الكائن (باعتبارنا موجودين)، وهذه تجربةٌ نحسُّ بها بأننا واقعونَ وسطَ الكائن، المنكشفِ لنا بشكلٍ وآخر.³⁰

إنّ الكائنَ له ميادينٌ عديدة، ونحنُ بسلوكياتنا اليومية، نتّجهُ الى ميدانٍ معيّن من جملةِ ميادينِ الكائن، وعند التوقّف عن الانشغالِ بشيءٍ من الأشياءِ أو بأنفسِنا؛ يأتينا مجموعَ الكائن في صورةٍ ضجرٍ حقيقي يجثمُ علينا، وأثره على النفسِ أنّه يُقربُ بين الناسِ والأشياء، وبين النفسِ والناسِ في حالةٍ مساواةٍ مدهشة. بمعنى أنّ الضجرَ يكشفُ الكائنَ لنا بارجاعنا الى حالةِ الانشغالِ بميادينِ الكائنِ مرّةً أخرى. كذلك الحالُ بالنسبةِ لحالةِ البهجة. فأنّها أيضاً تجعلنا نحسُّ بأننا وسطَ الكائن في مجموعهِ. إنّ هاتينِ الحالتينِ الوجدانيتينِ لا تكشفُ لنا الكائنَ فحسب، وأنّما هي الحدوثُ الأساسي الذي تتحقّق به كينونتنا الانسانية.³¹

كذلك فإنّ الحالة الوجدانية تكشفُ لنا العدمَ بذاته أيضاً، لكن بصورةٍ نادرة، وذلك في حالةِ القلق. والقلقُ ليس المقصود به ذلك الناتج من خوفٍ من شيءٍ ما، أي خوف من...، وأنّما هو قلقُ أمام...، قلقُ أمامَ اللاشيء، الذي ينكشفُ لنا عندما ينزاحُ الكائنُ بمجموعهِ (حينما نتوقّف عن الاهتمام بكل ميادينِ الكائن)، حينها فقط نقلقُ بسببِ مواجهتنا لـ ((اللاشيء)).³²

اذن العدمُ يمكنُ أن نعرفه في حالةِ القلق الوجداني العميق، وسببُ القلقِ هو توقّفنا عن الانشغالِ بشيءٍ من ميادينِ الوجودِ المتعددة، -حتى لو كانَ ذلك الانشغالَ بالنفس- لأنّنا حينئذٍ سنواجهُ العدم.

هذه هي ميتافيزيقا هيدجر، ويمكنُ التعبيرُ عنها باختصار ((أنّها البحثُ في الوجود-وليس الموجود- والعدم من خلالِ التجربةِ المُعاشةِ للدازينِ أي الوجود المشخّص، أمّا الوجود بمجموعهِ؛ فلا يمكننا معرفته بسببِ محدوديّتنا))، وبذلك يكون هيدجر قد حقّقَ للميتافيزيقا مجالها الذي غابَ عنها طويلاً، وهو البحثُ في الوجود، لكن من خلالِ التجربةِ الانسانية.

⁽³⁰⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 11.

⁽³¹⁾ ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁽³²⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 13.

اذن لم يتجاوز هيدجر الميتافيزيقا، وانّما قدّم ميتافيزيقا نقدية.

المبحث الثالث : الله والروح والعالم وفق التصور الهيدجري

المطلب الأول: الله والألوهية في ميتافيزيقا هيدجر

المطلب الثاني: علاقة الموجود الإنساني بالموجود الكلي

المطلب الأول: الله والألوهية في ميتافيزيقا هيدجر

توطئة

قبل البدء بعرض الرؤية الهيدجرية، ينبغي التنبيه الى امرٍ مهم، وهو أنّ بعض الباحثين³³ يضع هيدجر في الجناح الملحد من الفلسفة الوجودية. الا أنّ هذا الرأي يُجانبُ الصواب، وكلُّ ما في الأمر أنّ هيدجر نأى بنفسه عن اقحام الله في ميتافيزيقاه وبحثه الفلسفي، فهدفه هو البحث عن معنى الوجود بشكلٍ عام، -كما مرّ ذكره سابقاً- وهذا لا يُعدُّ مسوّغاً لوسم فلسفته بأنها الحادية³⁴. وفي رأينا أنّ هيدجر لم يُقحم الدين وموضوعه الأول (الاله) في بحثه الفلسفي-زيادةً على السبب المتقدم- بسبب أنّ اللاهوت ليس داخلاً ضمن البحث الفلسفي، فهيدجر يعتبرُ اللاهوتَ علماً وضعياً، بخلاف الوجود الذي هو من صميم البحث الفلسفي. يقول جادامير متحدثاً عن هيدجر "في محاضراته Tubinger Vortrag في العام 1927 صيغت المسألة بالشكل الآتي: اللاهوت هو علمٌ وضعي لأنه يتناول شيئاً كائناً؛ أعني الروح المسيحية.. وبذلك فهو أقرب الى الكيمياء والبيولوجيا منه الى الفلسفة، لأنّ الفلسفة، بوصفها العلمَ الفريدَ، لا تتناول الموجودات..انما هي تتناول الوجود: انها العلم الانطولوجي"³⁵.

³³ كالمفكر والاديب عباس محمود العقّاد، في كتابه "عقائد المفكرين في القرن العشرين".

³⁴ يُطلق المرحوم عبد الرحمن بدوي في كتابه ((دراسات في الفلسفة الوجودية)) على الجناح المؤمن من الفلسفة الوجودية تسمية "الوجودية المقيّدة"، وعلى الجناح المؤمن تسمية "الوجودية الحرة". (دراسات في الفلسفة الوجودية، ص16).

³⁵ (جادامير، طرق هيدجر، ترجمة، ناظم، حسن وصالح حاكم، علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2007، ص360).

أنّ وصف فلسفة هيدجر بالالحدادية يبدو أنّه كان بسبب وصف جان بول سارتر (1905-1980م) لها بذلك، وفي هذا المعنى يقول هانز جورج جادامير (1900-2002م) "إنّ إثارة السؤال المتعلّق بالبعد الديني في فكر هيدغر يعني طرح تحدٍّ، أو في الأقلّ الشروع في مهمّة متناقضة ظاهرياً. وهذا الصدد على المرء أن يفكر بجان بول سارتر، أحد المعجبين بهيدغر من منظور نيتشوي، الذي قدّم هيدغر بوصفه واحداً من ممثلي الفكر الالحدادي في عصرنا إنّ فهم هيدجر بوصفه مفكراً ملحداً أنّما يستند الى فهم سطحي لفلسفته ليس الا"³⁶.

لكن هل استبعد هيدجر أيّ حديث عن الألوهيّة والاله من فلسفته؟، الإجابة هي النفي، وهذا ما سيّضح لنا جلياً من خلال الأسطر التالية.

تقدّم معنا أنّ هيدجر يتجاوز الميتافيزيقا ليجعلها بحثاً في الوجود بما هو وجود، وتبيّن أنّ ادراك الوجود لا يكون الا من خلال ال(دزاین)، وهنا نتساءل: ((اين الله في فلسفة هيدجر؟)) صحيح أنّ هيدجر نأى بفلسفته عن الاله؛ لكن هل الغى الاله بشكل تام ونهائي؟.

وكمقدمة للإجابة لابدّ من التنويه على أنّ بداية هيدجر كانت بداية لاهوتيّة فقد كان مسيحياً كاثوليكيّاً، وهو نفسه قد اعترف بهذا الأمر؛ ففي رسالة منه الى كارل لوبث عام (1921م)؛ قال عن نفسه ((أنا لاهوتي مسيحي)). لكنّه منطلقاً من ولعه التفكيري تحوّل الى الفلسفة، وصار مفكراً، وباعتبار أنّه ليس لاهوتياً مسيحياً، لم يشعر بأهليّته في الحديث عن الله³⁷.

لقد كان متأثراً بتمييز ايكهارت بين الله والألوهيّة، فقد أعطى الأوليّة للألوهيّة على الله، وحاول أن يفهم الله انطلاقاً من الألوهيّة، واهتمامه بالألوهيّة من خلال ارتباطها بالوجود، كما انه يرفض تصوّر الانثربولوجي لله كخالق للموجودات، وانه الموجود الأعلى الذي يُعبد وتقدّم له القرايين. ويُعرّف الألوهيّة بأنّها الفضاء الذي يسمح للكائنات بالتجلي في الوجود، والله في رأيه مجرد رسولٍ للألوهيّة، تتمثّل مهمّته بالابلاغ ضمن مجال المقدّس، أمّا المقدّس فهو محافظٌ على أصالته

³⁶ المرجع نفسه، ص 343.

³⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 371.

وطهارته، وطاقته الانفتاحية بريئة من كل دنس. ويضيف أنّه ليس ثمة في الالوهية الا وحدة الأبعاد الأربعة: الالهة، البشر، الأرض، السماء³⁸.

وفي رأينا يبدو من هذا الكلام؛ أنّ الاله الذي يتحدث عنه هيدجر هو خصوص المسيح، فالمسيح في النصرانية ابن الاب.

وبالنسبة الى كيفية انوجاد الاله أو الالهة، وكذلك الطبيعة، وكيفية حصوله؛ فيرى هيدجر ان الانسان لا يستطيع معرفته. يقول في هذا المعنى: "اما فيما يتعلق بمعرفة هل ما اذا كان الموجود يتجلّى وبأي كيفية يتم له ذلك، وهل ما اذا كان الاله والالهة وكذلك التاريخ والطبيعة يلجّن في نور الوجود وانفتاحه، وما هي الكيفية التي بها يلجّن فيه، وهل ما اذا كنّ حاضرات أو غائبات، فان الانسان ليس له أن يقرّر بشأن ذلك"³⁹.

ويرى هيدجر أنّ نفس السؤال عن الاله لابدّ ان يكون بصيغة الجهل التام في معرفته، لا أنّنا نعرف معناه ونجهل شخصه "ان هيدجر قال مرة-عندما كان يتفكّر في قصيدة لهولدرلين-انّ ((السؤال: من هو الله، هو سؤال في غاية الصعوبة بالنسبة للبشر. وبوسعهم على الأكثر أن يسألوا: (ما هو الله)). يلمّح هيدجر هنا الى بعد المجلّ والمقدّس، ويعلّق على ذلك قائلاً: ((انّ فقدان بُعد المجلّ والمقدّس هو ربما الاثم الحقيقي الذي اقترفه عصرنا))"⁴⁰.

المطلب الثاني: علاقة الموجود الإنساني بالوجود الكلي

أولاً: معنى الوجود أو الدازين

يعتبر هيدجر أنّ ماهية الانسان لا يمكن اختزالها بالجسد فقط، كما هو مذهب الاتجاهات المادية، وأيضاً لا يمكن اختزال ماهيته بما يُعرف بالروح والعقل كما تفعل الميتافيزيقا التقليدية. فالحيوان الناطق، الذي اعتبرته الميتافيزيقا الأرسطية ماهية للإنسان؛ هو جمع متعسف بين الحياة

³⁸ ينظر: الخويلدي، زهير، المصادر الدينية لفلسفة هيدجر الانطولوجية، بحث على النت،

http://vf11.blogspot.com/2009/11/blog-post_8705.html

³⁹ هيدجر، رسالة في النزعة الانسانية، ترجمة، جلال، مينة، ضمن مجلة مدارات فلسفية، المغرب، العدد السادس.

⁴⁰ جادامير، طرق هيدجر، ص366.

والعقل، أي بين مفهومين ميتافيزيقيين، وقد ان الأوانُ للتفكير خارجَ الدائرة الميتافيزيقية للحياة والعقل⁴¹.

انَّ جوهر الانسان وحقيقته هو الوجود الانساني أي الكيونة هنا والان ((الدازين)). لكنَّ هذا لا يعني انَّ تحديد ماهية الانسان بأنه حيوان عاقل، أو كائن روحاني يتكون من روح وجسد، تحديداتٌ خاطئة، وانما كُلُّها لم تستطع ان تتعرّف على الكرامة الخاصة بالإنسان، تلك التي تخص الانسان وحده بوصفه الكائن الوحيد الذي أُلقي به في حقيقة الوجود، بفعل الوجود نفسه، من أجل الحرص -بخلق ماهيته المستمر- على حقيقة الوجود. ومن هنا فان الانسان راعي الوجود، وعلى عاتقه يقع همُّ الشعور به أو القلق من أجله⁴².

ثانياً: علاقة الدازين بالوجود الكلي

انَّ كَيْفِيَّةَ ارتباطِ الموجود الإنساني بالوجود الكلي هي جوهرُ ميتافيزيقا هيدجر، لكن قبل بيان علاقة ((الدازين)) بالوجود الكلي ينبغي التنويه الى أنّه وان تقدّم معنا معنى ((الدازين))؛ الا أنّه بقيَ تساؤلٌ لماذا بالضبط نظرَ هيدجر الى الانسان بلحاظ الوجود الان وبالقرب من الأشياء؟، انَّ السببَ يرجعُ الى طبيعة المنهج الذي التزمَ به هيدجر وهو المنهج الظاهراتي، الي ابتكره أستاذُه هوسرل، فالوجود فينومينولوجياً هو الانسان الان في لحظة الملاحظة وأمام الأشياء، فالوجود ال ((دازين)) هو انفتاحٌ على العالم بوصفِ أشياءه مجموعِ علاماته التي نكون لها بمثابة المكان أو الانفتاح التي تتحد فيها تلك العلامات فيظهر العالم امامنا موحّداً، وهذه الثغرة تجعل الدازين ينفتحُ على العالم، كذلك العالمُ ينفتحُ عليه، فالدازين هو الموجود في العالم، والعالمُ عبارةٌ عن نظامِ احالاتٍ، تُشيرُ علاماته الى الأشياء، ولهذا يكون الدازين دائماً مهموماً بالعالم، أي أنّ وجوده يتحدّد كـ "هم"⁴³.

⁽⁴¹⁾ ينظر: مهنانة، إسماعيل، مارتن، هيدجر من تحليلية الدازين الى فكر الكيونة، ضمن، الفلسفة الغربية المعاصرة، مجموعة من الأكاديميين العرب، ج 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص701.

⁽⁴²⁾ ينظر: هيدجر، رسالة في النزعة الانسانية.

⁽⁴³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص702.

يقول هيدجر: "أنَّ الوجودَ نفسه هو العلاقة: ذلك أنه يحمل الانوجداد إلى ذاته في ماهيته الانوجدادية، أي اللدنية. يأتي بهذه إلى ذاتها باعتبارها المجال الذي تقيم فيه حقيقة الوجود في قلب الموجود. ومادام الإنسان يتوصل كمنوجد إلى الإقامة في هذه العلاقة التي فيها ينبعث الوجود ذاته ويصير، مناصراً إياها لدنياً، أي محتملاً لها في الهم، فإنه يجهل هذا الذي هو أكثر قرباً منه أولاً (الوجود)، ويتعلق فقط بما لا يأتي إلا لاحقاً (الموجود) إلى حد الاعتقاد أن هذا الأخير هو الأقرب إليه، هذا في حين أن القرب ذاته (= حركة الاقتراب ومسافة الجوار)، أي حقيقة الوجود، هي الأكثر قرباً مما هو أقرب إليه، والأكثر بعداً في نفس الوقت بالنسبة للفكر العادي مما هو أكثر بعداً"⁴⁴.

في هذا النص يبيّن هيدجر مقولةً أنَّ "الوجود يسبق الماهية" فالإنسانُ وجودٌ بلا تشكّل وتحديدٍ لماهيته، والماهيةُ تأتي تباعاً بأفعاله هو، ولا تنتهي عمليةُ التشكيلِ لها الا بالموت. لكنَّ انوجداه في وسطِ العلاقة تلك، يجعله أقربَ إلى الموجودِ منه إلى الوجود، والسببُ أنَّ الوجودَ هنا غائبٌ والحاضرُ هو الموجودات التي هي ميادينُ الوجود الكائن، وذلك بسببِ أنه -أي الدازين- يقتربُ من الموجودات التي أمامه، في حين أنَّ نفسَ عمليةِ القربِ هي أكثرُ قرباً منه من الموجودات، وهذا القرب هو حقيقةُ الوجود، باعتبارِ الاقترابِ من الموجوداتِ هو عملٌ ودفعُ الوجودِ نفسه، باعتبارِ فاعليّةٍ مستمرة. وفي نفس الوقتِ فإنَّ عمليةَ القربِ أبعدُ من الموجوداتِ بالنسبةِ إلى الفكر العادي باعتبارِ أنَّ الوجود غائبٌ والحاضرُ هو الموجوداتُ فحسب.

خاتمة:

يمكنُ بيانُ النتائجِ التي توصّلنا إليها بالنقاطِ التالية:

1. بدايةُ المشروعِ الهيدجري؛ هو نقدٌ للميتافيزيقا الغربية، منذ افلاطون وحتى فردريك نيتشه. بسببِ أنَّها جعلت الميتافيزيقا سؤالاً عن الموجود، لا عن الوجود، لذا ينبغي العودة إلى أساسِ التساؤلِ الذي سبقَ افلاطون، من أمثالِ تساؤلاتِ بارمنيدس وهرقليطس، التي طُرحت نتيجةَ الدهشةِ التي اعترت أولئك الفلاسفة أمام الوجود لا الموجود.

⁽⁴⁴⁾ ينظر: المصدر نفسه.

2. انّ سؤال الميتافيزيقا موضوعه الوجود، لكنّ الوجودَ لا يمكن ادراكه بما هو وجود كلي، لأننا محدودون، لذا يجب أن يكون بحثنا عنه من خلال الوجود المحدود الذي هو وجودنا، وهو تجلٍ للوجود الكلي.

3. اننا لا يمكننا تجاهلُ العدم. والسببُ أنّ تعريفَ العدم بأنه ((اللاشيء)) يتضمّن مشكلةً وهي أنّ النفي لا يكون لـ((لاشيء))، اذ النفي فعلٌ ذهني، وهذا ما يُثبتُ أسبقيةَ العدم على وجودنا هو شيءٌ بنحوٍ ما.

4. يتجلّى العدمُ لنا في تجربةِ القلق، فإننا عندم نترك الانشغال بأي ميدانٍ من ميادين الوجود؛ يُباغتنا الوجود في صورة قلقٍ سببه مواجهتنا للعدم. هنا يبرزُ العدمُ بكلّ أصالةٍ لنا.

5. انّ فلسفةَ هيدجر ليست الحاديّة. فهي لا تُنكر الاله، وأنما هيدجر استبعد فكرةَ الاله من فلسفته، بعدما ترك الاتجاهَ اللاهوتي، واعتنق الاتجاهَ الفلسفيّ الذي قصره على بحثِ الوجود من منطلقِ الوجود الإنساني. والدليلُ كلماته التي ذكرها جادامير، أضف الى ذلك عدمُ تصريحه بذلك. ولعلّ السببَ في وسمه بسمّةِ الالحاد، راجعٌ الى قراءةٍ سارتر له كما يبيّن ذلك جادامير.

6. الانسانُ لا يمكن أن تعطي حقّه كلماتُ الميتافيزيقا أو العلم التي حاولت فهمه. والانسانُ بحسب هيدجر-وانطلاقاً من المنهج الظاهراتي؛ هو الموجود الان وقرب الموجودات في العالم.

7. انّ الوجودَ والعدمَ يتجلّيان في الانسان من خلال الاحساس بهما، في تجربةِ القلق الوجدانيّة. وبالنسبة الى تجربةِ البهجة فإنّ الانسان، يحسُّ بالوجود فقط دون العدم.

قائمة المصادر والمراجع:

المعاجم:

صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، بلا طبعة، 1982.

أ. المصادر:

1. هيدجر، رسالة في النزعة الانسانية، ترجمة، جلال، مينة، ضمن مجلة مدارات فلسفية، المغرب، العدد السادس.

2. هيدجر، مارتين، ما الميتافيزيقا، ترجمة، سبيلا، محمد، مجلّة مدارات. عدد13، ص1، نقلاً عن موقع ابن خلدون، الرابط، <http://ebn-khaldoun.com>.

3. هيدجر، مارتن، نداء الحقيقة، ترجمة، مكاي، عبد الغفار، دار الثقافة، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 1977.

ب. المراجع

1. الأطرش، عبير، الميتافيزيقا، ضمن، الموسوعة العربية، المجلد العشرون، ص176، الرابط، <http://www.arab-ency.com/ar>

2. التاور، عمر، الميتافيزيقا بين هيدجر ودريدا، موقع الحداثة وما بعد الحداثة، http://post2modernisme.blogspot.com/2016/01/blog-post_82.html

3. الطرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط3، 1996.

4. امام، عبد الفتاح، مدخل الى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة-مصر، ط1، 2005.

5. الخويلدي، زهير، المصادر الدينية لفلسفة هيدجر الانطولوجية، بحث على النت، http://vf11.blogspot.com/2009/11/blog-post_8705.html

6. بدوي، عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1980.

7. جادامير، طرق هيدجر، ترجمة، ناظم، حسن وصالح حاكم، علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2007..

8. دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة، جهاد، كاظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2000.

9. محمود، زكي نجيب، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط3، 1993.

10. مكاي، عبد الغفار، ضمن، هيدجر، مارتن، نداء الحقيقة، دار الثقافة، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 1977.

11. مهران، محمد ومدين، محمد، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء، القاهرة-مصر، بلا طبعة، 2004.

12. مهنانة، إسماعيل، مارتن، هيدجر من تحليلية الدازين الى فكر الكينونة، ضمن، الفلسفة الغربية المعاصرة، مجموعة من الأكاديميين العرب، ج1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.